قراءة لنقش شاهد قبر الأمير – ابن علي أحد أمراء المماليك (يذكر لأول مرة)

حمد خليف القطامين*

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة نقش شاهد قبر مملوكي لأمير أصله من مماليك الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبدالله الجاشنكير وعتقائه، ويؤرخ إلى السنة ٧١٦ هـ (١٣١٦م)، وقد وجد ضمن مقتنيات المتحف الإسلامي التابع لمسجد الصحابي الشهيد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، الكائن في لواء المزار الجنوبي/ محافظة الكرك.

تبرز أهمية هذا النقش في أنه يمثل النص المادي الوحيد الذي يفصح، من بين المصادر التاريخية الأثرية وتراجم الأعلام، عن أسم أمير جديد من أمراء المماليك لم يرد له ذكر في المصادر التاريخية المعروفة ولا في تراجم الأعلام. وتزداد الأهمية لاقتران اسم هذا الأمير صاحب النص باسم سلطان من سلاطين المماليك هو بيبرس بن عبدالله، الملك المظفر ركن الدين بيبرس البرجي المنصوري الجاشنكير المتوفى ٧٠٩هـ (١٣٠٩م).

اعتمدت منهجية البحث على وصف النقش من حيث المكان الذي وجد فيه، ونوع المادة التي نقش عليها، ومقاييس النقش وأبعاده، وعدد الأسطر، ونوع الخط، وذكر السمات الجمالية والزخرفية فيه، وقد تمت دراسة الألقاب الواردة في النقش لأهميتها وعددها الكبير وخصوصا أن النقش يضيف لقبا جديدا للألقاب المملوكية وهو لقب (رحيمه).

Abstract

This study aims at reading a tombstone inscription of a Mamluk prince who lived during the reign of king Rukn Eddin Beibars Bin Abdullah Al- Jashinkeer and his emancipated slaves. The inscription goes back to the year 716 A.H. (A.D 1316). It was found in the Islamic Museum of the Sahabi Jafar Bin Abi Talib (The martyr of Muta'h battle in the year 8 A.H(A.D 629) in the Southern Mazar, a village of Al- Kerak.

The importance of this inscription lurks in the fact that it is the only concrete inscription available about this Mamluk prince. The inscription also takes its importance form the name of the Mamluk sultan Beibars Bin Abdullah, who died in the year 709 A.H (A.D 1309). The inscription also adds a new nickname for the Mamluk nicknames, namely Raheemuh.

The study describes the text of the inscription, the place, the material, the measures and dimensions of the inscription , the decorative and aesthetic features as well.

* قسم الآثار والسياحة، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن.

تاريخ استلام البحث: ٢٣/ ٧/ ٢٠٠٢ تاريخ قبول البحث: ١٠/ ١١/ ٢٠٠٢

وصف النقش:

في محاولة لقسم الآثار والسياحة في جامعة مؤتة بمساعدة وزارة الأوقاف الأردنية لإعادة ترتيب ما لديهم من قطع أثرية إسلامية محفوظة في متحف صغير ملحق بمسجد الصحابي الشهيد جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، الكائن في لواء المزار الجنوبي/ الكرك (انظر شكل رقم -١-)، تم التعرف إلى مجموعة من النقوش العربية الإسلامية المنشورة [1] وهي في معظمها نقوش لشواهد قبور (نصوص جنائزية)وجد بجوارها هذا النقش – موضوع البحث-. وقد بقي بلا دراسة أو تحليل - رغم أهميته وندرته - الأمر، الذي دفع كاتب هذا البحث لقراءته ونشره متمنياً أن يسهم في إلقاء ضوءٍ جديدٍ على الفترة المملوكية التي يعود إليها.

كتب النقش على لوحة حجرية كلسية طيعة جعل النقاش وجهها أملساً ليكون صالحاً للكتابة عليه، بينما ترك ظهر النقش خشناً ليساعد في تثبيته في المكان المخصص له بين حجارة القبر، حيث استخدم النقاش أداة حادة لحفر الحروف على السطح الخارجي للحجر، وقد بلغت أطوال النقش سبعون سنتمتراً طولاً وستون سنتمتراً عرضاً وبسماكة ستة عشر سنتمتراً، وقد أخذ النقش شكلاً مقوساً من جهته العلوية (أنظر شكل رقم -٢-)، وأصاب الجهة اليمنى من النقش كسر نجم عنه فقدان جزء بسيط من إطار النقش الخارجي، يدل على ضياع الأحرف الأولى من بداية المقطع الثاني من أسم صاحب النقش(انظر الصورة رقم -١-).

النقش مكون من ستة أسطر مفصولة بخطوط مستقيمة سوّي بينها حيث أسندت الحروف فوق السطر الأفقي و لم تتعداه إلى ما دونه، كما ضبط النقش من جميع الجهات (ما عدا الجهة السفلية منه) بإطار بارز غير مزخرف. وقد خط النقش بالخط الثلثي، واعتمد في النقش أسلوب النحت البارز.

لقد بيّن النقش في نهاية السطرين السادس والأخير، تاريخ وفاة صاحب النص الكائن نهار الأربعاء السادس عشر من ربيع الآخرة سنة ست عشرة وسبعمائة هجري (يوم السبت الرابع من أيلول سنة ألف وثلاثمائة وست عشرة ميلادي).

وليس لدى مشرف المتحف أيّ معلومات عن المكان الدقيق الذي اكتشف فيه النقش، سوى أنه حفظ في المتحف – المذكور أعلاه- كغيره من النقوش العربية الإسلامية التي وجدت أصلاً بجوار القبور الإسلامية المحيطة بقبور الصحابة شهداء معركة مؤتة.

نص النقش:

لقد تمت قراءة النقش على النحو التالي (انظر الصورة رقم-١- والشكل رقم -٢-):

١- (بسم) الله الرحمن الرحيم

٢- (هـ) ذا قبر العبد الفقير إلى ر (حمة).

٣- الله تعالى الحج الأمير لا] في[.

٤- (..) ن بن علي ولد الجناب العالي المولوي الأميري.

٥- السيفي رحيمه ابن عبدالله الجاشنكير توفي المذكور.

٦- اعلاه نهار الأربعاء سادس عشر ربيع الاخره سنة ستة عشرة وسبعمائة.

دراسة الألقاب الواردة في النقش:

لقد اشتمل النقش على أحد عشر لقباً هاماً، نوردها على الترتيب حسبما ظهرت في النقش:

١- العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى.

٢- الحج.

٣- الأمير.

٤- ولد.

٥- الجناب.

٦- العالي.

٧- المولوي.

٨- الأميري.

٩- السيفي.

١٠- رحيمه.

١١- الجاشنكير.

وقبل أن نتناول هذه الألقاب بالدراسة لا بد من الإشارة إلى أن الألقاب في عصر دولة المماليك كانت تقسم إلى قسمين رئيسيين : اللقب " الأصل" واللقب " الفرع" ولقب الأصل كان يأتي في أول الألقاب مثل " الجناب العالي"، وما يليها من الألقاب يسمى " بالألقاب الفروع" [٢] وهذا ما وجدناه في هذا النص مع وجود ألقاب أخرى.

" **العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى**" يذكر حسن الباشا بأن العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى من ألقاب التواضع والتذلل لله تعالى. ولقد وردت كثيراً في النصوص الجنائزية بنوعي المذكر والمؤنث، حيث استعمل هذا النوع من الألقاب السلطان الملك العادل نور الدين سنة ٥٩٩هـ (١٢٠٢م) في نقش وجد في

المسجد النوري في مدينة حماة [٣] . أما بنوعه المؤنث فقد استعمل اللقب في نص جنائزي يعود إلى زوج الملك الناصر صلاح الدين مؤرخ بسنة ٦٣١هـ (١٢٣٣م)، وقد وجد في ضريح الملك الظاهر بمدينة حلب (... هذه تربه العبدة الفقيره إلى رحمة ربها جهة مولانا الغازي المجاهد....) [٤] .

" **الحج**" من الألقاب التي تطلق (عرفاً على من أدّى فريضة الحج إلى البيت الحرام بمكة. وتعتبر تأدية هذه الفريضة من دواعي المدح) [٥]، كما كان لقب الحاج (يطلق في عصر المماليك على مقدمي الدولة، ومتهارية البيوت، وأمثالهم، وإن لم يكونوا قد حجوا) [٦]. وقد (أطلق هذا اللقب على الأمير حسام الدّين الحاجب لؤلؤ)[٧] سنة ٥٩٨هـ (١٢٠١م).

" **الأمير**" من الألقاب الأصول، والأمير معجمياً تعني صاحب الأمر والسلطة، وهي أيضاً من الألقاب المستخدمة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم: " من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني" [٨]. وقد شاع إطلاق هذا اللقب عند الأيوبيين والمماليك على الموظفين الحربيين والإداريين. ويذكر حسن الباشا أن القلقشندي عمّم استعمال لقب الأمير في عصر المماليك... للعسكريين[٩].

" **ولد**" إن ألقاب الوالد والوالدة والولد والولدية من الألقاب الشائعة في عصر المماليك وكان يشير الأول للمسنين من الأكابر، أو قصد به الوالد حقيقة والثاني قصد به الوالدة الحقيقية أو من قام مقامها، والثالث قصد به الأحداث من الرؤساء، أو ربما وقع على الولد حقيقة ولربما قصد من الولدية أن يكون مؤنثاً[١٠].

أما لقب ولد الوارد في هذا النقش فهو لا يمثل الولد حقيقة وخصوصاً أننا نعلم من سياق النص أن الأمير ابن علي من عتقاء ورحماء ابن عبدالله الجاشنكير وليس من أبنائه الحقيقيين، ويعزز هذا القول عدم وجود أولاد لابن عبدالله الجاشنكير فيما عدا ابنته زوج الأمير برلغي الأشرفي. [١١] وبناءً على ذلك ربما قصد من هذا اللفظ ابن التبني الذي يقوم مقام الابن الحقيقي، وإذا كان كذلك فهو يزيد من أهمية النقش لأن معظم النقوش الجنائزية المملوكية لا يذكر فيها أسماء أبناء التبني.

أمّا فيما يتعلق بالألقاب التابعة للاسم الثاني والخاص بابن عبدالله الجاشنكير فقد ابتدأت بلقب " **الجناب**" ولقب الجناب من الألقاب الأصول، ويذكر حسن الباشا أن لقب (الجناب) لم يظهر في الكتابات الأثرية إلا متأخراً، وأول مثل له على الآثار هو وروده في نص جنائزي مؤرخ بـ ٦٥٠هـ(١٢٥٢م)، على أحد القبور في الصالحية بدمشق،[١٢] وغالباً ما يتبع لقب الجناب بلقب العالي، فيقال الجناب العالي، وهو ما ورد في هذا النص.

" **العالي**" لقب من الألقاب (الفروع) جاء هنا مضافاً إلى ياء النسب (العالي) وعليه، فإن جميع الألقاب اللاحقة بهذا اللقب تأتي مضافاً إليها ياء النسبة، حيث جاءت الألقاب " المولوي والأميري والسيفي".

وقد أطلق الجناب العالي على الأمير سيف الدين برسباي في نقش مؤرخ بسنة ٨٣٧هـ (١٤٣٣م)، كما أطلق على الأمير سيف الدين في نقش [١٣] مؤرخ بـ ٨٥٨هـ (١٤٥٣).

" **المولوي**" من ألقاب أكابر أرباب السيوف والأقلام[١٤]، ويذكر حسن باشا أن لقب (المولى) صار في عصر المماليك يطلق على السلاطين، ويرد ضمن ألقاب كبار رجال الدولة من الأمراء والمدنيين [١٥]، وقد أطلق على السلطان أبي الفتح محمود ابن قرّا أرسلان سنة ٦٠٥هـ (١٢٠٨م)، وعلى الأمير بدر الدين بيسري الظاهري في نقش مؤرخ بسنة ٦٧٥هـ (١٢٧٦م).

" **الأميري**"، يذكر القلقشندي أن لقب الأميري من ألقاب أرباب السيوف[١٦]. ولقب الأميري أعلى من لقب الأمير كما ورد عند حسن باشا؛ لأن إضافة ياء النسبة إلى اللقب ترفع رتبته في حالة استعماله لغير السلطان[١٧].

" **السيفي**"، ذكر أنه إشارة إلى رفعة الرتبة التي يتبوأها صاحب اللقب، وذلك إما بانتسابه إلى السلطان وإما بانتسابه إلى المترلة والمرتبة التي يمثلها[١٨].

" **رحيمة**"، جاء في لسان العرب في مادة رحم أن الرحمن مقصورة على الله عز وجل، والرحيم قد تكون لغيره. وقد نقل عن ابن عباس أن (الرحمن، الرحيم) اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر فالرحمن الرقيق، والرحيم العاطف على خلقه بالرزق، والرحيم يوصف به غير الله تعالى، فيقال رجل رحيم ولا يقال رحمن[١٩].

وقد سبق أن لقب أبو نصر بن محي دين الله بلقب الرحيم من خلال نقش محفوظ بمتحف الفن بشيكاغو [٢٠] مؤرخ بسنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م).

ورحيمه هنا تمثل أحد الألقاب التي عبر بها كاتب النقش عن الصلة التي تربط ابن علي بأبن عبدالله الجاشنكير، واستعماله هنا يشير إلى سابق عبودية بين المترحم عليه وبين ابن عبدالله الجاشنكير، وهي إشلوة إلى أن ابن علي كان أحد مماليك ابن عبدالله الجاشنكير، إلا أن الأخير رحم به وحرّره وأعتقه وجعله من الأمراء جرياً على عادة المماليك في عتق مماليكهم الصغار عندما يكبرون، ورحيمه هنا تتوافق في المعنى مع لقب (عتيق) الذي شاع استخدامه في عصر المماليك، حيث يذكر حسن باشا ورود لقب عتيق في نص مؤرخ بسنة ٥٢٤هـ (١١٢٩م). وجد في مدينة دمشق باسم معين الدين أنر ابن عبدالله عتيق الملك

تطغتكين[٢١]. وقد شاع في عصر المماليك كثير من الألقاب الدالة على العبودية مثل عبده، صنيعته، عتيقه ويضاف إليها لقب رحيمه، وهي إشارة إلى تطور في الألقاب المتعلقة بالعبودية مع حفظ الجميل وعدم نكرانه.

ويجدر بالذكر أن لقب(**رحيمه**) يظهر لأول مرة في هذا النقش، بحيث لم يرد له ذكر في المصادر الأثرية والتاريخية وكتب التراجم من قبل، وهو أمر يضفي على هذا النقش أهمية كبيرة، حيث يزودنا بوثيقة تتضمن لقباً لم يكن معروفاً من قبل.

" **الجاشنكير**"، لقد اختتمت الألقاب الواردة في هذا النقش بلقب (الجاشنكير): والجاشنكير لقب مركب من لفظين فارسيين: أحدهما " جاشان" ومعناه الذوق والثاني " كير" وهو بمعنى المتعاطي لذلك، ويكون المعنى (المتذوق). وهو الشخص الذي يتصدى لتذوق المأكول أو المشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يدس عليه فيه سم[٢٢]. ومن أمثلة استعمال هذا اللقب اطلاقه على الملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري الجاشنكير[٢٣] الذي تسلطن سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٨م)، وتوفي سنة ٧٠٩هـ (١٣٠٩م).

دراسة تحليلية وتاريخية:

لقد ورد في النقش اسما شخصين؛ أولهما ابن علي وثانيهما ابن عبدالله الجاشنكير. و لم تفصح المصادر التاريخية أو تراجم الأعلام عن الشخصية الأولى و لم تعرّف بها. أما الشخصية الثانية فقد كان من السهل الاهتداء إليها والتعريف بها وذلك لسببين اثنين: الأول مستوحى من كثرة الألقاب المقترنة بالاسم مما يدل على أهمية صاحبها وعلو قدره ومكانته الاجتماعية المرموقة في عصره، وهي ألقاب لا تجتمع إلا في الأمراء والسلاطين. أما الأمر الثاني فهو اقتران اسم عبدالله بلقب الجاشنكير. هذان الأمران يجتمعان في شخصية الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المتوفى سنة ٧٠٩هـ (١٣٠٩م). وهو بيبرس بن عبدالله الملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري الجاشنكير، أصله من مماليك المنصور قلاوون وعتقائه[٢٤]، تأمر في عهد المنصور قلاوون وأصبح من أكابر الأمراء في أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون واستاداراً في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون[٢٥]. وعندما قوي أمره اغتصب الملك من الملك الناصر محمد بن قلاوون وتسلطن في يوم السبت الثالث والعشرين من شوال[٢٦] سنة ٧٠٨هـ(١٣٠٩م)، واستمرت سلطته طوال أحد عشر شهراً ساءت فيها علاقته مع الملك الناصر الذي ذهب إلى الكرك واتخذ منها قاعدة للعودة لحكمه المغتصب، كما ساءت علاقته فيها مع الناس لما وقع في سلطته من وباء وارتفاع لأسعار الحبوب وسائر الغلال [٢٧]؛ فاضطربت أحواله وأحوال الدولة، الأمر الذي دفعه للتخلي عن السلطة مكرهاً للملك الناصر

محمد بن قلاوون، حيث أمر الأخير بخنقه في يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة[٢٨] سنة ٧٠٩هـ(١٣٠٩م).

ويعزز هذا الاستنتاج، تاريخ وفاة صاحب النص الذي يتوافق والسنة السابعة من وفاة الملك المظفر، حيث يشير النقش في سطره السادس إلى أن تاريخ وفاة صاحب هذا النقش (الأمير ابن علي) كان في ٧١٦هـ (١٣١٦م)، وهو ما يؤكد أن الأول والثاني عاشا في فترة زمنية واحدة.

أما فيما يتعلق بطبيعة العلاقة بين ابن علي وابن عبدالله الجاشنكير، فقد وجدنا أنها تكمن في ألقاب ثلاثة وردت في النص؛ أولها لقب الأمير الذي سبق اسم ابن علي مما يوحي بأنه من طبقة الأمراء، والثاني لقب ولد الجناب العالي الذي يشير إلى نسبته للجناب العالي، ولقب الجناب العالي هنا عائد لابن عبدالله الجاشنكير.

والثالث لقب رحيمه الذي يسبق اسم عبدالله الجاشنكير فهو إذن الحج الأمير...ابن علي ولد الجناب العالي المولوي الأميري السيفي رحيمة ابن عبدالله الجاشنكير.

ورحيمه تمثل أحد الألقاب التي عبّر بها كاتب النص عن الصلة التي تربط ابن علي بابن عبدالله الجاشنكير واستعمالها بهذه الصفة يشير إلى سابق عبودية بين المترحم عليه وابن عبدالله الجاشنكير؛ أي أن الأخير رحم به وحرره واعتقه وجعله من الأمراء[٢٩].

وهناك حالات كثيرة يبدأ بها الشخص حياته في العبودية وينتهي في الأمارة، ونذكر منها ما ذكره المقريزي بشأن سيف الدين آل ملك الذي كان مملوكاً في عصر الملك الظاهر، وأخذ يترقى في الوظائف إلى أن صار من كبار الأمراء وأصحاب المشورة في أيام الملك الناصر بن قلاوون[٣٠]. لقد بدأ بعض سلاطين المماليك حياتهم بالعبودية وانتهى بهم المطاف إلى الملك والسلطة، وأفضل مثال على ذلك نأخذه من هذا النقش، حيث كان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير من مماليك المنصور قلاوون وعتقائه.

أما بالنسبة إلى اللقب الثالث الذي يفسر طبيعة العلاقة بين ابن علي وابن عبدالله، فهو لقب **(ولد)** وهو لا يمثّل الولد حقيقة وإنما يمثّل التبعية [٣١].

أما شخصية ابن علي والاسم الكامل له، فهو أمر قد أخذ جلّ اهتمام الباحث، وذلك لتعرض النقش إلى تهشم في نهاية السطر الثالث حيث المقطع الأول من الاسم، ولوجود كسر في الجهة اليمنى من النقش حيث بداية السطر الرابع منه؛ مما أدّى إلى إتلاف بداية المقطع الثاني من الاسم و لم يتبق منه إلا حرف واحد يشتبه بأنه حرف " النون"، والحال هذه تستبعد أية احتمالات لقراءة المقطع الثاني من الاسم سوى أنه ينتهي بحرف " النون". والشيء الواضح والوحيد من اسم هذه الشخصية هو " ابن علي" الوارد ذكره

في السطر الرابع من النقش. أما فيما يخص المقطع الأول من الاسم- رغم التهشم الذي لحق بـه- فـإنني أطرح مجموعة من الاحتمالات لقراءة هذه الكلمة يساعدني في ذلك وجود حرف " اللام ألـف" لأنـه واضح المعالم.

أولهما؛ ربما تقرأ هذه الكلمة على أنها لقب من الألقاب وليست اسماً، وبالتالي تتبع الألقـاب الـتي سبقتها، وأقرب الألقاب لأحرف هذه الكلمة وأنسبها انسياقاً مع النص لقـب " الأجل" وبالتالي تصبـح الحج الأمير الأجل.. ن بن علي ولقب الأجل من الألقاب الإسلامية الشائعة، وقد لقب به الوزير والأمـير والسلطان، حيث يذكر حسن باشا أن لقب الوزير الأجل (علي أبي الحسن بن أحمد نيسان) في نقش وجد في ديار بكر مؤرخ بسنة ٥٤٠هـ (١١٤٥م)، وأُطلق على السلطان ألب أرسلان في نقش مؤرخ بسـنة ٤٥٩هـ (١٠٦٦م)، وأُطلق على الأمير شمس الدين سنقر السعدي الملكي الناصري في نقش مؤرخ بسنة ٧١٥هـ (١٣١٥م)[٣٢].

أما الاحتمال الثاني فربما يقرأ على أنه اسم " لاجين". ولا تجوز هذه الاحتماليـة إلا إذا اعتبرنـا أن الكلمة مجزأة بين السطر الثالث والسطر الرابع. واسم **(لاجين)** من الأسماء التي شاعت في عصر الممـاليك. فعلى سبيل المثال، تذكر المصادر لاجين بن عبـدالله الأمير حسام الدين الدوادار [٣٣] توفى سنة ٦٧٢هـ (١٢٧٣م)، والسلطان الملك منصور حسام الدين لاجين المنصوري، وهو أحد مماليك المنصور قلاوون[٣٤] توفى سنة ٦٩٨هـ (١٢٩٨م). وإليه يعود الفضل في تجديد قلعة الشوبك عـام ٦٩٧هـ (١٢٩٧م) حيث ظهر اسمه في مجموعة من النقوش الكتابية المسجلة على أبراج قلعة الشوبك. [٣٥]

أما الاحتمال الثالث لقراءة هذه الكلمة، فربما قصد به اسم " لافي" وعليه يصبح الاسم: الحج الأمـير" لافي..... بن علي"، ويعزز هذه القراءة المطابقة بين رسم آخر حرفين من هذا الاسم كما تبدو معالمـها وبين رسم آخر حرفيين من كلمة " توفى" الوارد ذكرها في نهاية السطر الخامس من هذا النقـش، حيـث يبدو التشابه واضحاً خصوصاً في رسم حرف الياء الراجعة نحو اليمين.

التحليل الفني للنقش:

بدأ هذا النقش الشاهدي بذكر البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) مقررة في السطر الأول منـه، ثم التعريف بطبيعة النقش والتذلل إلى الله تعالى، حيث ورد في السطر الثاني منه وبداية السطر الثالث (هـذا قبر العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى). "وهذا " اسـم إشارة متبوع بكلمة قبر للتعريف بطبيعة البناء. أمّـا (العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى)، فهي من ألقاب التواضع والتذلل لله تعـالى، وقـد وردت كثـيراً في النصوص الجنائزية بنوعي المذكر والمؤنث. وقد استعمل هذا النوع من الألقاب، السلطان الملك العادل نـور

الدين سنة ٥٥٩هـ (١١٦٣م)[٣٦]. واستعمل اللقب بنوع المؤنث في نص جنائزي مؤرخ بسنة ٦٣١هـ (١٢٣٣م) يعود إلى زوج الملك الناصر صلاح الدين، وجد في ضريح الملك الظاهر بحلب (... هذه تربة العبدة الفقيرة إلى رحمة ربها مولانا الغازي المجاهد...) [٣٧].

إن الدراسة الفنية للنقش تبين أنه مكون من ستة أسطر خطت بالخط الثلث، وقد جاءت مفصولة بخطوط أفقية مستقيمة، يحيط بها إطار من جميع الجهات، ما عدا الجهة السفلية منه. والإطار بارز وغير مزخرف يوضح بدايات السطور ونهايتها. أما الحروف فأنها تمتاز بالسماكة والامتداد والجمالية والحركة، وقد بلغ الخط في النقش درجة عالية من الدقة الفنية والعناية الفائقة والجودة في إخراج النقش، من حيث استقامة السطور واستوائها وتناسقها، ووجود السطح الأفقي بينها وتساوي وانسجام الحروف الممتدة طولاً وعرضاً لملء كامل المسافة المعدة للسطر.

و لم يعثر في النقش على أيّ أخطاء إملائية. وهو من الناحية اللغوية سليم الأسلوب والإعراب، سوى الإخلال في كتابة تناسب العدد مع المعدود من حيث التذكير والتأنيث، فوردت: "سنة ستة عشر وسبعمائة" وحقها أن ترد " سنة ست عشرة وسبعمائة". وخلاف ذلك، فقد بذل النقاش عناية كبيرة تدلل على مهارة وثقافة ودرّبة في مثل هذا العمل .

وإذا ما تتبعنا النقش من حيث رسم حروفه، فإننا نلاحظ (انظر الشكل-٣-): امتياز حرف الألف بامتداد طولي مميز وواضح ذي استقامة عامودية تشكل زوايا قائمة وفي نهايته ينتهي طرفه السفلي بنهايات رفيعة وطرفه العلوي بنهايات سميكة، وقد لوحظ الاستمرار في كتابة هذا الحرف على نفس النهج والأسلوب في معظم الكلمات التي لازمها في النقش .

أما حرف الباء فقد ورد في النقش بمواضعه المختلفة مستقلاً عن يمينه أو يساره أو مركباً أو منفرداً، فجاء مركباً في كلمتي ؛ (قبر، والعبد)، وقد بدأ شكله غير متجانس، فجاء في كلمة (قبر) انسيابياً من غير تسنين، في حين أبدى الكاتب ناجذ الحرف في كلمة (عبد). وينطبق الأمر ذاته على كلمة (الجنلب) في السطر الرابع و (عبدالله) في السطر الخامس و(سبعمائة) في السطر الأخير .

أما عن اتصاله عن يساره، فجاء في الكلمات (بسم)، من السطر الأول، و (بن) في السطر الرابع والخامس و (الأربعاء) و (ربيع) من السطر الأخير . وقد بدا الحرف فيها جميعها يتميز طولاً أو قصراً عمّا يتلوه من حروف ذات نواجذ (أنظر كلمة بسم). أما وروده في كلمة (بن) فنلاحظ ليونة واضحة في دمجه بالحرف الذي يليه، أما ورود الحرف منفرداً، فجاء في كلمة الجنّاب في السطر الرابع، وقد اتخذ الحرف شكله المنسجم مع سمات خط الثلث .

أما حروف الحاء والجيم والخاء في (الجناب، الحج، رحيمة، الجاشنكير، الآخره) فتمثل شكل زوايا حادة سواء كانت في بداية الكلمة مثل (رحيمه)، أو في وسطها مثل بقية الكلمات، وقد جاء فيها شيء من الليونة والتقويس . ويجدر بالذكر هنا، أن حرف الجيم في كلمة (الجناب) أصابه بعض التهشم الذي لم يفسد قراءته . أما حرف الدال والذال في (ولد، عبدالله، المذكور)، فتبدو في طرفها العلوي أكثر ارتفاعاً وأقل تقويساً وتتميز بذيلها المرتد إلى أعلى .

أما حرف الهاء في (الله، رحيمه، عبدالله، سنة، ستة) فيلاحظ أنه جاء مفتوحاً من أعلى و لم يأتِ مربوطاً . لكن حرف الهاء في كلمة (أعلاه) اتخذ شكل الدائرة . أما حرف الهاء في كلمة (نهار) فقد جاء أقرب إلى الشكل المقوس .

وقد امتدت نهاية حرف الراء في (الأمير، الأميري، رحيمه، الجاشنكير، ربيع، عشر) إلى أعلى وجاء على هيئة واحدة تقريباً .

أما حرفا السين والشين في (السيفي، الجاشنكير، سادس، عشر) فقد جاءت مسننة بثلاثة أسنان صغيرة ذات رؤوس رفيعة من أعلاها، ويلاحظ فيما يتعلق بحرف السين في (سنة، ستة) خروجاً عن هذه القاعدة لانعدام الأسنان فيها .

أما حرف التاء في (تعالى، توفي) فقد جاء في المثالين متصلاً عن يساره، وقد بدا الحرف في كلمة تعالى معرض الرأس، اتصل فيما يتلوه بانسيابه، بينما تعلو هامة الحرف في كلمة (توفى) زائدة تتبعه يميناً، ولعلها تمثل شكلاً تزويقياً للحرف .

ويلاحظ أن حرف العين في (العبد، تعالى، علي، العالي، عبدالله، أعلاه، الأربعاء، عشر، ربيع، عشرة) جاء في حالة الابتداء أكثر تقوساً وليونة حتى كادت أن تنعدم فيه الفتحة، أما شكل العين في حالة التوسط فيأخذ شكل المثلث المعكوس .

أما حرفا الفاء والقاف في (القبر، الفقير، السيفي، توفي) فقد وردت رؤوسها مستديرة الشكل تستند على زوائد علوية ترتفع عن خط التسطيح، كما ورد في كلمة (قبر) من السطر الثاني وتوفي من السطر الخامس، بينما استقرت على الخط الأفقي في كلمة (الفقير). بينما نلاحظ أن شكل الفاء في كلمة (السيفي) قد اتخذت شكلاً معيناً ربما فرضته طبيعة مادة الكتابة.

أما حرف الميم في (الأمير، المولوي، الأميري، المذكور) فيلاحظ أنه يبدو مدور الرأس. وجاء شكل حرف النون في (ابن، نهار) شبيهاً بالراء، وهو من التأثيرات النبطية وأساليبها التي ما زالت تتسرب إلى الخط العربي. (٣٨)

أما حرف الواو في (ولد، توفى، وسبعماية) فقد جاء منفرداً مرتين، واتصلت التاء عن يمينه في كلمة توفى، وقد انسجم شكله في حال انفراده في كلمتي (ولد) و(سبعماية)، فجاء مستدير الرأس يمتد أسفله خط لين مقوس، ولعل شكله في كلمة (توفى) يشابه نظائره في المفردتين الأخريتين، سوى أن خطه الممتد أقل تقوساً.

أما حرف ياء النهاية في (تعالى، علي، العالي، المولي، الأميري، السيفي، توفى) فقد جاء لإظهار ياء راجعة نحو اليمين – وورود ياء النهاية راجعة ينبئ باستمرارية تأثير الخط النبطي على الحرف العربي [٣٩].

أما حرف الكاف في (الجاشنكير) فقد ارتبط بوجود شكل زخرفي يمثل ورقة نباتية ذات ثلاثة رؤوس حادة للغاية منها إضفاء الطابع الزخرفي والجمالي على النقش، مع الحرص على تعبئة الفراغ الذي أحدث فوق حرف الشين في نفس الكلمة .

أما شكلا حرف اللام في (ولد، العالي) فقد امتاز في الامتداد كما أننا نلاحظ وجود توافق وتطابق في رسم (اللام ألف) في (الأمير، الأميري، أعلاه، الأربعاء، الأخر).

وقد خلت كلمات النقش من حروف ستة هي حرف الصاد والضاد والطاء والظاء والزين والغين .

لقد أظهر السطر السادس والأخير من النقش اختلافاً بسيطاً من حيث حجم الأحرف، حيث جاءت حروفه صغيرة الحجم نسبياً ومركبة يعلو بعضها بعضاً إذا ما قورنت بالأسطر التي سبقته، فكلمات السطور الخمسة الأولى كبيرة الحجم وواضحة الحروف بخلاف السطر السادس الذي صغرت به الكلمات بشكل واضح، مما جعل كلمات هذا السطر أكثر عدداً من الكلمات الموجودة في كل سطر من السطور السابقة، فقد بلغ عدد كلمات السطر الأول أربع كلمات وفي السطر الثاني ست كلمات والسطر الثالث خمس كلمات وفي السطر الرابع سبع كلمات وفي السطر الخامس سبع كلمات أيضاً، بينما بلغ عدد كلمات السطر السادس إحدى عشرة كلمة . وهذه ظاهرة يلجأ إليها كتّاب النصوص عندما يشعرون أن ما بقي من فراغ لا يتسع لما هو مطلوب، فيضطرون حينها إلى ضغط الحروف واختصار المسافة وتصغيرها من أجل استكمال بقية النص. وصف هذا الأسلوب على أنه خطأ شائع في كتابة النقوش الإسلامية[٤٠] وهو ليس كذلك لأن اختصار المسافة وتصغير الخطوط في السطر الأخير في النقش، ما هو إلا سمة ظاهرة في معظم أنواع النقوش القبطية واليونانية والإسلامية واللاتينية والهيروغليفية، وتعرف اصطلاحاً بـ "نظرية امتلاء القاعدة " فالنقوش ذات الشكل الجمالوني والهرمي أو ذات الشكل القبابي غالباً ما يعمد النقاش على ملىء فراغات القاعدة من كل جهاتها لتحمل ثقل الزخرفة كأسلوب فني وزخرفي توارثته الحضارات بعضها عن بعض.

إن أهم ما يميز هذا النقش من الناحية الزخرفية هو استخدام النقاش لزخارف منفصلة على هيئة نقاط كبيرة الحجم ذات شكل دائري مطموسة الوسط، تشاهد بعد اسم (علي) في السطر الرابع وقبل لقب (رحيمه) في السطر الخامس، وبعد كلمة (نهار) وتحت كلمة (سادس) في السطر الأخير من النقش، وتهدف هذه النقاط لملىء الفراغات. كما ظهر فوق كلمة " السيفي" في بداية السطر الخامس شكل زخرفي مطموس الوسط يمثل رأسه كأس الزهرة، ولكنه جاء بشكل تجريدي ذي زوايا.

وهناك شكل زخرفي على هيئة لسان ظهر مباشرة تحت المقطع الثاني من اسم " عبدالله" في السطر الخامس. ويلاحظ أيضاً ظهور بعض الزخارف النباتية على كتفي النقش جاءت على هيئة وريقات نباتية تخرج من فروع وأغصان، ويلاحظ وجود زخارف نباتية اتصلت في رأس حرف الكاف في كلمة (الجاشنكير) في السطر الخامس، وقد جاءت على هيئة ورقة نبات ذات ثلاثة رؤوس حادة.

ومما يلفت الانتباه في هذا النقش هو تميز أسلوب كتابة أحرف النص باتساع عرضها وطولها، وشدة بروزها ووجود ائتلاف في الكتابة، وبعد عن الاختلاف في رسم الحروف نسبياً؛ مما أضفى عليه جمالية وزخرفية قوامها الكتابة وقليل من الزخارف الأخرى.

الحواشي

١- من الأبحاث المنشورة عن نقوش مزار مؤتة انظر:

* صفوان التل، " نقوش إسلامية من مزار مؤتة"، دراسات الجامعة الأردنية، (١٩٨٩م)، عـــدد ١١، ص ٤٧-٦٨.

* سلطان المعاني، وحمزة المحاسنة،" نقشان عربيان جديدان أموي ومملوكي من مزار مؤتة"، مؤتة للبحـوث والدراسات، (١٩٩٩)، المجلد ١٤، عدد ٢، ص ١١-٣٥.

٢- لمزيد من المعلومات انظر:

* أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالله بن أبي اليمن القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨)، صبح الأعشـى في صناعة الإنشاء، ١٤ جزءاً، القاهرة، (١٩٦٣م). ج٥ ص ٤٩٣.

* حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، ١٩٧٨م)، ص ١٠٦.

٣- الباشا، الألقاب، ص ٣٩٣.

٤- الباشا، الألقاب، ص ٣٩٨

٥-الباشا، الألقاب، ص ٢٥١.

٦-الباشا، الألقاب، ص ٢٥٢.

٧-الباشا، الألقاب، ص ٢٥١.

٨- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، فتح الباري شرح صيحيح البخاري، دار أحياء الـتراث، بيروت، ط ٤، (١٩٨٨م).

٩- الباشا، الألقاب، ص ١٨٥.

١٠- الباشا، الألقاب، ص ٥٣٩-٥٤١.

١١-أبو المحاسن: جمال الدين يوسف بن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر، والقـــاهرة، ج٨، ص ٢٧٧.

١٢- الباشا، الألقاب، ص ٢٤٣.

١٣- الباشا، الألقاب، ص ٢٤٦.

١٤- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦ ص ٣١.

١٥- الباشا، الألقاب، ص ٥١٨.

١٦- القلقشندي، صبح الأعشى، ج٨ ص٨.

١٧- الباشا، الألقاب، ص ١٠٧.

١٨-المعاني والمحاسنة، نقشان عربيان، ص ١١.

١٩- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

٢٠- الباشا، الألقاب، ص ٣٠٢.

٢١-الباشا، الألقاب، ص ٣٩٨.

٢٢- القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص ٤٣٢، ج٤، ص ٢١، ج٥، ص ٤٦٠.

٢٣- القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص ٦٩.

٢٤- أبو المحاسن: جمال الدين يوسف بن تغري الأتابكي، المنهل الصافي والمستوفي في بعد الوافي، القاهرة، (١٩٨٥م) ج٣، ص ٤٦٨.

٢٥- أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٢٣٢.

٢٦- أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٢٣٢.

٢٧- أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٢٤٣.

٢٨- محمد أحمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، (١٩٨٢)ج١، ص ٤٣٤.

٢٩- انظر ما ورد بشأن لقب رحيمه في دراسة الألقاب.

٣٠-تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد المقريزي (ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م)، السلوك في معرفة دولة الملوك، الجزء الأول، تحقيق مصطفى زيادة، دار الكتب، القاهرة (١٩٣٤م)، ص ٣١٠.

٣١- انظر تفصيل ذلك في لقب ولد.

٣٢- الباشا، الألقاب، ص ١٢٦-١٣٤.

٣٣- المقريزي، كتاب السلوك، الجزء الأول القسم الثاني، ص ٦١٣.

٣٤- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، كتاب الوافي بالوفيات، ط٢، ج٤ (١٩٧٤م) ص٣٥٤.

٣٥- يوسف درويش غوانمة، التاريخ السياسي لشرقي الأردن في العصر المملوكي الأول، دار الفكر، عمان، (١٩٨٢م)، ص ١٤١- ١٤٢.

٣٦- الباشا، الألقاب، ص ٣٩٣.

٣٧-الباشا، الألقاب، ص ٣٩٨.

٣٨- محمد فهد عبدالله الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز، تهامة، جدة، (١٩٨٤م)، ص ٢١٤.

٣٩- الفعر، تطور الكتابات، ص ٢٤٧.

40 -Abdel- ' Amr, " Anew Ayyubid Inscription From al-Karak", Jordan, Zeitschrift des Deutschen Palastine- Vereins, 1989, vol. 105, 166-172.

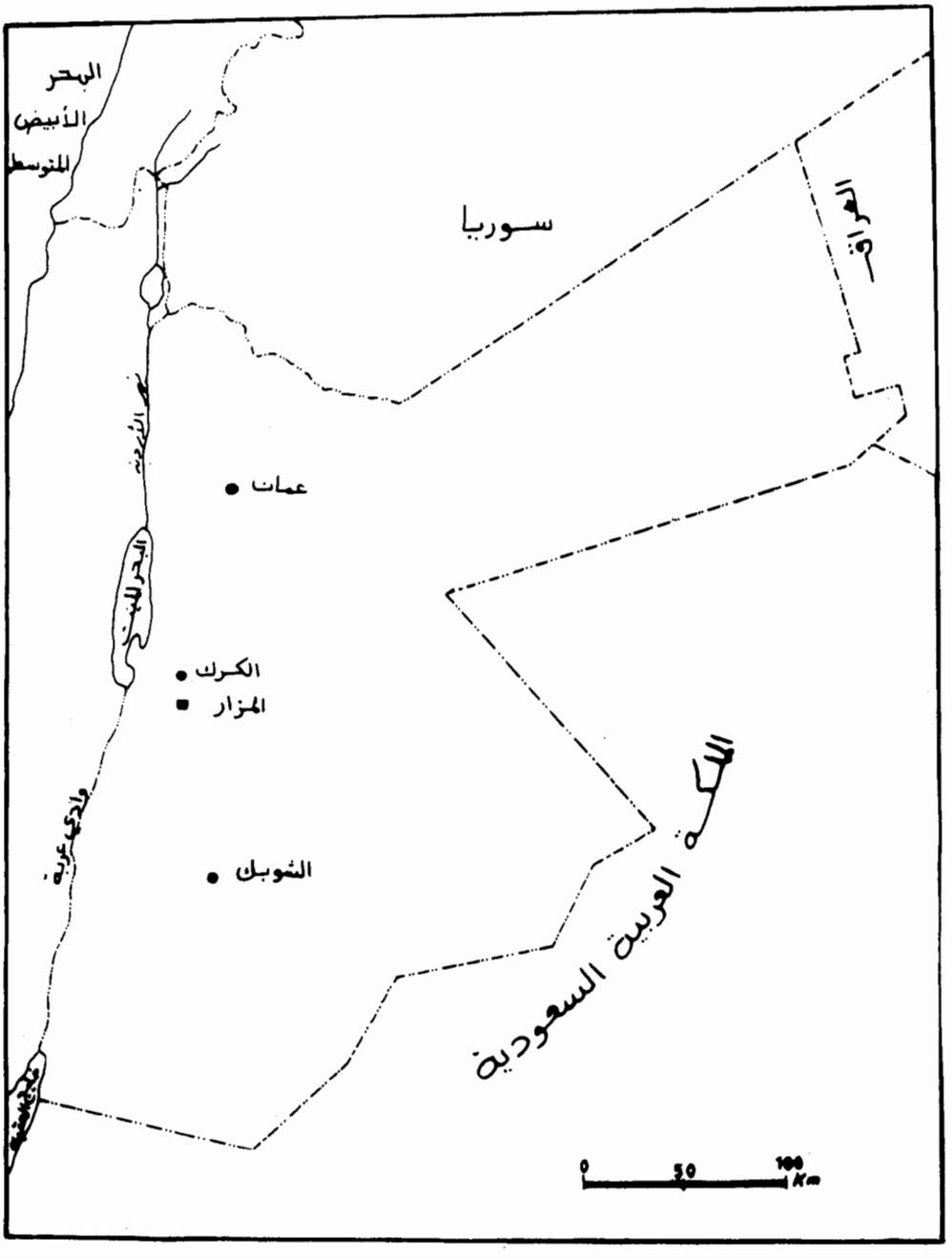
البحر
الأبيض
المتوسط
سوريا
العراق
عمان
البحر الميت
الكرك
المزار
وادي عربة
الشوبك
المملكة العربية السعودية
0
50
100
Km

شكل رقم (١)

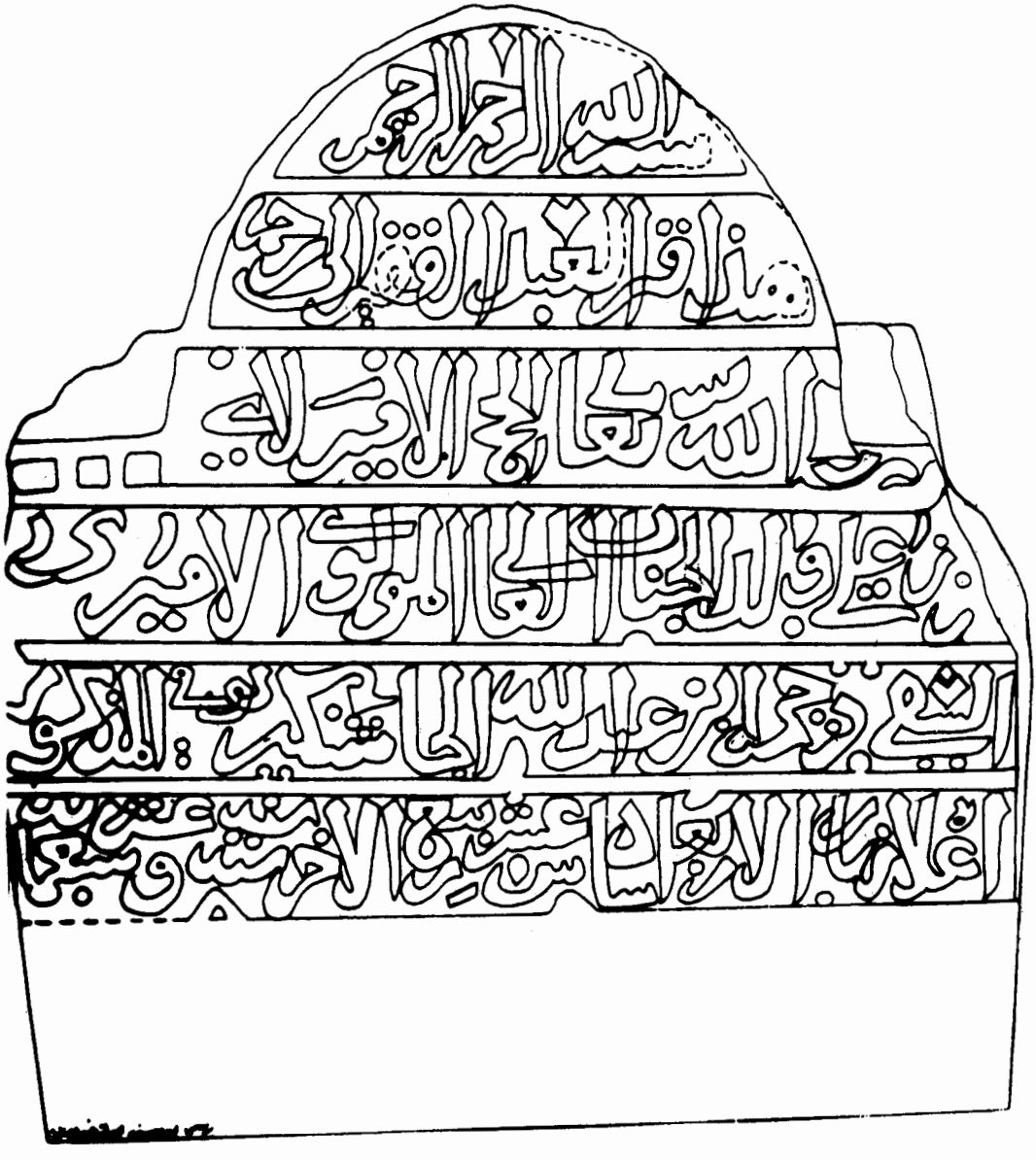

شكل رقم (٢)

إشكال الحروف
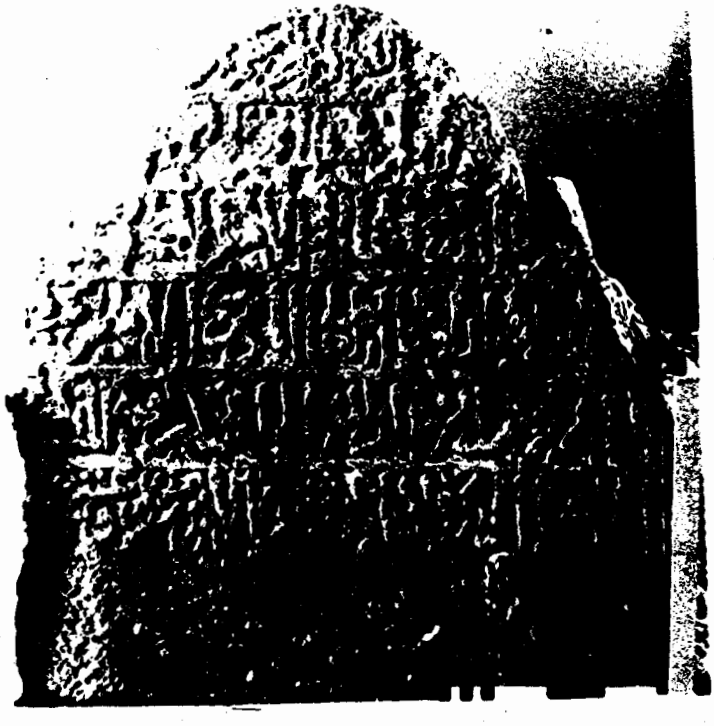
الحرف	منفرد	ملتصق بالبداية	ملتصق بالوسط	ملتصق بالنهاية
لفظ الجلالة	الله	الله	الله	
الألف	ا			ا
الباء	ب	بـ	ـبـ	ـب
التاء	-	تـ	ـتـ	-
الجيم	-	-	ـجـ	ـج
الحاء	-	حـ	ـحـ	-
الخاء	-	خـ	-	-
الدال	د	-	-	ـد
الذال	-	-	-	ـذ
الراء	ر	-	-	ـر
السين	س	سـ	ـسـ	-
الشين	-	شـ	ـشـ	-
الصاد	-	صـ	ـصـ	ـص
الضاد	-	ضـ	ـضـ	-
الطاء	-	طـ	ـطـ	-
الظاء	-	ظـ	ـظـ	-
العين	-	عـ	ـعـ	ـع
الغين	-	غـ	ـغـ	-
الفاء	-	فـ	ـفـ	-
القاف	-	قـ	ـقـ	-
الكاف	-	كـ	ـكـ	-
اللام	-	لـ	ـلـ	-
الميم	-	مـ	ـمـ	ـم
النون	ن	نـ	ـنـ	ـن
الهاء	ه	هـ	ـهـ	ـه
الواو	و	-	-	ـو
الياء	ي	يـ	ـيـ	ـي
الهمزة	ء	-	-	ء